نـافـذة

العقيدة العربية

بالتأمل والتحليل تكتشف أبعاد أي معاناة، وتضع ملاحظاتك عليها بقصد إيجاد الحلول لعلاجها، والحالة الوحيدة التي لا يمكن الإجابة عنها هي الموت، الذي اعتبرته الكائنات الحية وأهمها الإنسان شرطاً رئيساً للاستمرار الخلاق لحياتها، والذي يسمح لنا بالبحث عن وفي كل شيء، وإذا خضنا في معنى الحياة فهذا يعني أن نفكر في كيف نبقى أحياء إلى أكثر مدى ممكن أمام رعب ما يجري من محاولات إنهاء حياة الإنسان بيد الإنسان؟

هذا يقودنا إلى سؤال عن حجم تعجبنا من حياة الإنسان وباقي المخلوقات على هذه الأرض وماهية تاريخه وتاريخها المثيرين حتى اللحظة للجدل حول البداية الكونية وما فيها، وهل اخترع العقل الإنساني البداية؟ وهل العرب كانوا مع بدء الخليقة؟ وما حجم تأثيرهم فيها؟ ولماذا ظهرت النبوات والرسالات وجميع الأنبياء والرسل في هذه المنطقة المسماة الشرق الأوسط أو أرض العرب؟ وكل ما فيها من نوازع وهواجس وأفكار وإيمان وتدين بالعقائد المختلفة، وأهمها فيما بعد التأليهية والتوحيدية، التي انقلبت على التنوع القديم وريادة النساء كآلهة قبلها، ومن ثم حضور النبوات والرسل والمقدسات وأسباب حضورها، وما ماهية حاجات الناس الواقعية والملحة لها والبحث عن سبل إرضائها، ومن ثم إقناعها بطرق عادلة وصحيحة، وحجم الصراعات التي بدأت على هذه الأرض، ومازالت مستمرة حتى اللحظة التي أخط بها كلماتي وعلاقتها بالمقدس والمدنس، ومن أجل كم احتاج الإنسان من السنين لإدراك ما يحمله من عقل قادر على البحث في الحياة بكل ما فيها، ومن ثم إسقاطه عليها عبر منتج، وأيضاً كم احتاج من الكم الزمني ذاته في تلك السنين، ليدرك أن ما لديه متوافر أيضاً لدى الآخرين من جنسه ومن غيره أثناء حياة الإنسان؟ وهي الأهم، حيث يربح العديد من القضايا أو يخسرها بسبب اعتباره لنفسه موجوداً اعتبارياً، ولا يهم أن يرد إليه بعد موته، لأنه ليس موجوداً، وبحثنا تأملاً وتحليلاً عن الحقيقة هنا، هي حقيقة الإنسان وتناقضاته بين الإنسانية والبشرية وبين الشخصية، من حيث إنها صورة منظمة متكاملة مع سلوك الإنسان وحركته، وهل هي شخصية موضوعية، أم إنها حالة خالية متعلقة بالخوف الذي ينتهي بوصولها إلى آخرتها المسلوكة في اللا منظور، وعبرها نجده يحيا المأساة التي تختص بفواجع القادة والعظماء والنبلاء والمشهورين والملهاة التي تثير الضحك، لكونها مستمدة من البيئات الواقعية، ويتداولها المجتمع، ومنها الفردي، وتنطبق على الجماعي.

ما أخطه تحت عنواننا غايته فهم العروبة التي تشكل نقطة انطلاق في مستقبلنا المادي واستقراء مفاهيمها، التي نكتفي بتداولها بدلاً من فهم ضرورة تسخيرها التي أعتبر إن اتجهنا إليها حققنا خطوات باتجاه الدخول لعصر النهضة خاصتنا العربية، بعد إزالة الالتباس القادم عليها من مصطلحات الجنسية والقومية والوطنية التي تنشئ الخلاف اللفظي المؤدي إلى أي منها نفضل، وهذا لا يحدث إن لم يقرر المسؤولون عن الأمة مجتمعين أو كل في قطره بالأخذ بهذه القيمة وفردها بالشكل الأمثل، وإذا سألنا ما العقيدة العربية؟ هل الإسلام مكونها الرئيس أم لغتها أم مجموع الأحياء على جغرافيتها وتراكمهم التاريخي الذي غدا مكوناً رئيساً من مكوناتها؟ ناهيكم عن عناصر جمعها المهمة التي أراها في العروبة، هذه التي أعتبرها أهم عقيدة حاضنة لترفعها عن الأديان والقوميات والإثنيات ودعوتها للتحضر والتطور وفرقتها المنتشرة بين مفاصلها، هذه التي تنتشر بينها بسبب التقوقع خلف الطوائف والمذاهب والعقائد، ونحن هنا لا نريد الخوض في التاريخ المتلئ بالتحريض على اختلافها، الذي صور على أنه مشترك فيما بينها، بل لمناقشة الواقع القائل: نحن الآن أبناء الحاضر، وتصح مقولة الماضي ينبئ عن المستقبل، إلا أن صناعة الحاضر في اعتقادي هو ما يؤسس للقادم، وبالتأمل والتحليل نجد أن التردد يقتل الفرص، وكلما عظم التحدي اشتدت الحوافز للنجاح والخلاص، وبهما يتسع الوعي الذي يثبت أهميته، ليس على المستوى الفردي، وإنما على مستوى المجتمع وإدارته، وإذا حاصرتك الظروف يجب ألا تحاصر نفسك ضمنها، وإنما أن تبحث عن مخارج تسمح لك بفك المطبق عليك، مع مراعاة فك عقدتي الفاقة والترف، اللتين تهيئان لحدوث الأزمات، ومن ثم الوصول إلى الحصار الذي يطول في النتيجة شكل الدولة وعقيدتها وانتماءها، لما تريد أن تكون عليه، لا إلى ما كانت منخرطة فيه، والحياة معنى وصورة، فإذا تم المساس بالمعنى أدى ذلك إلى تشويه الصورة، والصورة والمعنى شوهاً كثيراً ما يدعو الجميع للبحث في جوهر العقيدة.

العقيدة العربية التي لم يصل أفرادها الظاهرون عليها والقادمون منها، باعتبارهم المكون الرئيس لمجتمعاتها، لتأسيس قواعد تسير عليها حتى اللحظة، بسبب الصراعات الظاهرة والخفية بين حقيقته وحلمه، بين واقعه المعيش وخياله، فهو يحيا لعبة الحلم في عوالم الشمال، يموت معه ضمن واقعه المؤلم، الذي لا يرى بوارق فيه، وفي الوقت ذاته بقي يتمسك بحلمه ويتناقله، معتبراً أن الحياة بلا أحلام تفقده وجوده، وعالم الشمال برمته بعيد كل البعد عما يفكر به العرب، لأنه يعلم أن طبيعتهم ترفضه، رغم احتياجها إليه، لذلك تجده سريع الإحساس بالفزع من هذه الطبيعة، وسريع اللجوء إلى السلاح، وسريع الإصابة والقتل بصمت أو بصراخ وعويل، وهذا إن دل فإنما يكون نتاج استمرار الجهل وسواد الوهم والتعلق بالمعتقدات والخرافة، ومع تراكم الأفكار غير السديدة، والتعمية على المغالطات تتوه المجتمعات، وينتشر فيها فساد الأخلاق، هذه وحدها التي تحجب الحقيقة، وهنا أؤكد أن خروج إنساننا العربي على واقعه وبحثه عن الحقيقة من أجل تحرير نفسه من الأوهام والأحلام المزيفة والخرافة يحتاج إلى كسر كثير من المحرمات الدينية والجنسية والسياسية، رغم ما يشكله البحث فيها من مخاطر، والسير فيها ممتلئ بالألغام، وأن الإرادة لخوض ذلك تمنح فرصة ذهبية لتبنيد عقيدته وبناء شخصيته وتحويل فكرة من اتكالي أخروي إلى إبداعي إنتاجي.

لاحظوا أن الشعب العربي تتحد أفكاره، وتتقارب لدرجة مهمة، ومعه تجدون أن صوته يعلو باتجاه تقدم الأفضل من الخطط والأفكار التي يجزم أن رفضها لن يكون من الغوغاء، لنؤيد أننا كنا أمة عامرة، وانحدرنا إلى الحضيض، وتشرذمنا بين الصغير من الدول والكبير، ألا يجب أن ننهض من جديد؟ أولم نشهد حكومات صغيرة صنعت دولاً عظيمة، وحكومات هبطت بالدول العامرة إلى الحضيض؟ فإذا أحسن التدبير كان اتقاء المزالق والمآزق، وزودت الأمة بالقوة والعدة والعديد، فتقدير القياسي والتناسب مدعاة لمراجعة ما نحن عليه، فإنساننا له مداه في الحياة، وإنه ليعاني الموت مرات في اشتهاء ما يريد الوصول إليه من صميم قلبه، كالوصول للحد الأدنى من الرفاهية وسواد القانون وطموحه المستمر لبناء منزل وتربية الأبناء وتعليمهم وإنجاز أعماله بالشكل الجيد، وكم من شيء ينجز ويقارب الإعجاز إن كان موفور الكرامة المتوازنة، ويشعر أن ليس في وسعه الانحناء كثيراً والنزول إلى التوسل والرجاء كل الوقت أو طوال الزمان، هذا الذي إن لم يتحقق يقتل مفهوم العروبة، ويهتك شخصية العربي، ليس في موطنه فقط، وإنما أمام العوالم الأخرى.

بات الخجل يرتسم على الوجه لحظة أن نسأل: من أنت؟ من أين أنت؟ وهنا أسأل: من نحن؟ وأين نحن؟ ومنه أتمنى أن يتداعى الساسة، ويدعو المفكرون والمثقفون والإعلاميون لفرد الاختلاف حول مشروع العقيدة العربية وإصلاح مفاهيمها وتقديمها بالشكل الذي يليق بحضورها، وعسى أن تكون التجارب والأزمات المريرة قد سرعت إفادتنا.

د. نبيل طعمة

معرض لأمكنة متخيلة في غاليري جورج كامل

أكسم طلاع لـ«الوطن»: «أقدم هويتي بلغة معاصرة في زمن ضاعت فيه الهويات»

جُمان بركات- تصوير: طارق السعدوني

بحالة بحثية في عالم الحرف شكل لوحات فيها فضاءات معرفية وتعبيرية ونفسية واجتماعية، جاءت نتيجة مسيرة طويلة وجهد كبير وبحث طويل لتكوين لوحة حروفية لها خصوصية تميز بها الفنان أكسم طلاع الذي جمع لوحاته الجدارية وافتتح معرضه التاسع في غاليري جورج كامل. وفي تصريحه لـ«الوطن» قال أكسم طلاع:

هذا المعرض الفردي رقم ٩ سبقه معرض بعنوان «أبيض داكن» أقيم أثناء الحرب عام ٢٠١٦ في لبنان، والمعرض اليوم هو استمرار لتجربة امتدت لأكثر من ٢٥ عاماً في ميدان اللوحة التشكيلية والحرف كجزء منها، تيمة المعرض هي الرسم وراء الكتابة، بمعنى أنه كالطائر الذي نصفه صلة الوصل بين السماء والأرض، وبين صوت الكلمة ووجودها المادي أو مدلولها هناك سماء وهناك فضاء، أنا طائر قلق في هذا الرحب، يسميه البعض حروفية والبعض الآخر يسمونه استناداً إلى التراث والاتكاء عليه، في الحقيقة، لا يوجد خلاف عليه، المهم أنني أعمل باحثاً عن معانٍ خاصة، فأنا ابن لغتي وأقدم هويتي بلغة معاصرة، أستكشف وأعزز وجودي من خلالها في زمن ضاعت فيه الهويات.

جعل الفنان أكسم طلاع عنوان المعرض مخفياً بتلميح إلى ذاكرة مكان، وعن لوحات المعرض قال الفنان: ١٢ عملاً جدارياً في المعرض هي أمكنة متخيلة، ربما تصورتها مما أحفظ من لغة الوصف التي تركها لي من سبقوني، مثلاً أعرف الجولان حلماً لكن وصفهم للمكان جعل من دمي أنهاراً وأشجاراً وثلجاً، والحيرة أنك تنظر إلى المدينة من سماء عالية، مدينة عبارة عن بقع متجاورة، هذا الشكل الهندسي الذي يراه الجميع ليس مجرد قطع وإنما أراه بمعنى روحي يمكن وصفه بأنني أتلمس الألفة بينهم، وأنظر إليهم بروح واحدة ومتماسكة وأربط بينهم بطريقة خاصة، وهذا الربط هو موضوع بصري بحت، وفي الوقت ذاته هي متعتي بالجدارية وإعلان لتجربة جديدة.

نجد على سطوح الأعمال تهشيرات ومعناها «الأثر المتروك في العمل خلال زمن ما» غني بأحداثه ومؤثر لم يكن زمناً فقط وإنما تحول إلى تاريخ، فالفن ليس تعبيراً مباشراً وإنما هو الذي يظهر لاحقاً ويبقى دون أن يزول.

وأضاف: موضوع الحرف هو جزء من اللوحة للتعريف عن معناه البصري بالشكل وليس المدلول، في الحقيقة، أحياناً مجموعة حروف هي مجتمع وأحياناً أمم، وحيرة المتلقي تكمن في البحث عن مدلول الكتابة وفي الوقت نفسه عن صورة الشعر في الرسم، وأنا في لوحاتي مشروعي الأساسي هو الصورة وليس مشروع أدب، والفضاء فيها مفتوح أمامي للابتكار بحرية، أما اللون فهو قيمة تجعل من الحياة شيئاً ممكناً ذا نعمة فلا بد من توفر النعمة حتى تكون الحياة، وأحياناً لون واحد بدرجاته الترابية مثلاً يغني عن مجموع ألوان، وأنا أميل للألوان الحيادية فهي أكثر تعبيراً وأقل استعراضاً، والعمل الفني للوحة يتضمن حواراً بين أطرافها من جهة وحواراً انقطع بيني وبينها لغياب مقدرتي عل الفعل.

«سكر زيادة»

يملك الفنان أكسم طلاع نوعاً من أنواع الشجاعة –حسب رأي د. محمد غنوم– وقال: يصر على تقديم شيء مهم في مسيرة الخط العربي، يستخدمه كمفردة تشكيلية في عمله، ونحن تعودنا على كثير من اللوحات التي فيها إنجاز سريع «اللوحة الصغيرة»، وفي معرض أكسم يوجد نقلة نوعية للتجربة لأننا نرى تكوينات فيها غنى أكثر ومحاولة للبحث بجدية، وفي نفس الوقت أحب استخدام كلمة «سكر زيادة» ومعناها أن أي لوحة لا تتحمل عوامل فنية ومفردات وعناصر كثيرة، ولكن عند أكسم يوجد سكر زيادة وهو دليل على أنه في المستقبل القريب سيتخلص من هذه الزيادات غير الضرورية في العمل، وأنا بدوري أهنيه على هذه الشجاعة والعمل على مساحات كبيرة وفي نفس الوقت يقدم تجربة أكثر تطوراً وعمقاً، وأتمنى في المعرض القادم تقديم اكتشافات أكثر مما هو عليه اليوم لأن استخدام المفردة العربية كمفردة تشكيلية طريق مهم في مسيرة الحركة التشكيلية التي تعتمد على هوية معينة هي الهوية العربية، وعندما يكون الحرف العربي هو الأساس فلا خوف على الهوية من الضياع.

> عندما يكون الحرف العربي هو الأساس فلا خوف على الهوية من الضياع

عمل موسيقي

وبدوره قال الفنان نبيل السمان: تكمن الصعوبة في اللوحة الحروفية أنها لوحة تجريدية وفي الوقت نفسه تمتلك خصوصية وهوية، ومن مجموعة الفنانين الحروفين الذين مروا بتاريخ المنطقة تسجل تجربة الفنان أكسم طلاع حضورها، فنلاحظ جهداً وبحثاً في كل لوحة حيث وصل إلى نتائج مهمة جداً ومستمرة بالزمن، أعتقد أنه موفّق في المعرض اليوم والبحث اللوني، ويوجد قيم غرافيك مهمة في العمل التي لها علاقة بالظلمة والنور «الإضاءات» أو «التضاد اللوني»، وفي الحقيقة المعرض مهم جداً بحجومه الكبيرة والصالة تحتملها، وفضاء اللوحة الكبير فيه متعة وكأننا نسمع موسيقا وموشحات للوحة مشرقية رغم أنها تجريد وفيها شيء من الصوفية بمعنى أن العمل غير منتهٍ.

ميزة إضافية

وصف الفنان أكسم طلاع الناقد عماد فياض بالشريك الحقيقي، وبدوره تحدث فياض عن المعرض: يركز هذا المعرض على اللوحة الكبيرة التي تحتل جداراً كبيراً، وكأنها سجادة في صدر الصالون، ولقراءة هذه اللوحة يجب رؤيتها عن بعد فنرى تفاصيلها، ربما يقول البعض إن هذه اللوحات الحروفية لوحات متعددة ولكن في الحقيقة هي لوحات متداخلة تتكامل وتتجاور لتشكل لوحة واحدة، وهذا هو تأثير أكسم طلاع في عالم الحروفية، فهو لا يميل في لوحاته إلى كتابة الحرف بشكل واضح وكلمات مقروءة وإنما يلعب على الكلمة التي يكتبها وعلى المتلقي وناقد اللوحة قراءة هذه التفاصيل، هناك فراغات تبقى في هذه اللوحة على المتلقي ملؤها والعمل عليها، والمميز في اللوحات هو تداخل الألوان المتعددة حيث اشتغل على اللون بجماليته التي تدهش البصر بمعنى أن اللوحات مضيئة وجميلة وهناك لوحات متصاعدة وتكاد تطير.

يميل الفنانون عادة لتقديم لوحات صغيرة وأكسم لم يهتم في إنشائها بسبب التسويق بل رسم لوحته الكبيرة وأمتعها دون الاهتمام لحاجة السوق، ورسم لوحته للمتلقي ومضى وهذا ما أعطى معرضه ميزة إضافية.

الآخر شريك

وبدوره قال الفنان عمار حسن: الحرف هو انعكاس لما يريد قوله الفنان أكسم طلاع كاشفاً من خلال لوحته همومه اليومية، وما نراه في لوحته من كثافة غريبة وجميلة تشد العين ليس إلى تشكيل الحرف فقط وإنما إلى تنوع حالات يريد أكسم قولها من خلال هذه الكثافة التشكيلية ومصفوفات الحرف وتدفق وسيلان اللون.

في الواقع، لأول مرة أرى أكسم يتخطى حدود اللوحة الحروفية وجمعها مع اللوحة التشكيلية وهذا دليل على وجود حالة بوح أو صراخ عبر كثافة هذه اللوحات ضمن اللوحة الواحدة، هو لا يقدم لوحة بقدر ما يقدم أحداثاً عدة في لوحة، وهذا جميل لجهة التعبير النفسي ومكاشفة المتلقي، وفي الوقت نفسه يحاول تقديم فضاء من دون إشغالات بصرية ما يعطي اللوحة بعض الهدوء، وما بين الهدوء والعاصفة التشكيلية أو التعبيرية تحدث اللوحة اهتزازاً يصعب علينا معرفة إلى أين سنذهب مع الفنان أكسم، وفي الحقيقة هو يتركنا أمام حالة مواجهة مع اللوحة، وحالة هجومية أيضاً لاستحواذ عين المتلقي ما بين فراغها الملون بألوان مختلفة –وهذه إضافة تحسب للفنان– والعاصفة من التعبير والتشكيل التي تتحرك داخل عوالم أكسم ويحاول التخلص من خلال هذه الانفجارات والضغوط عبر قذفها داخل اللوحة، والجميل أنه جعل الآخر شريكاً في هذه المعاناة التعبيرية وشريكاً بهذا الانفعال التشكيلي الذي قوامه الحرف.

الترجمة... مهمة محفوفة بالمخاطر والألغاز

أن تكتب كتاباً لا يشبه أن تترجم كتاباً أبداً

هبة الله الغلاييني

نمر حالياً بمرحلة تاريخية للترجمة فيها أهمية تفوق أهمية البحث العلمي، ولاسيما أن مقدرة من هم خارج أسوار الجامعة على تناول المعارف الأجنبية محدودة بسبب ضعف مناهج اللغات في مدارس العالم العربي، وأنه على أساتذة الجامعات واجب أخلاقي يحتم على كل واحد منهم القيام بحصة من الترجمات المفيدة مجتمعياً، إلى جانب البحث العلمي الذي تبدو مهمته الوحيدة –في غياب المؤسسات البحثية الداعمة– مقتصرة على التقدم الوظيفي فقط. كان الأديب المصري توفيق الحكيم يقول: «المعنى الحقيقي للحضارة والبلد المتحضر هو أن توضع كل آثار الذهن وتراث الفكر في متناول الأيدي بلغة البلد».

وبطبيعتها، تنطوي الترجمة –كما يقال– على قدر من الخيانة، وإن حسنت نية المترجم، إذ يصدق عليها، مهما كانت دقيقة، المثل الإيطالي «المترجم خائن». فالمترجمون إذ يزجون بأنفسهم في غمار الترجمة، تلك المهمة المحفوفة بالألغاز، فإنهم يشتغلون على العمل نفسه في لغتين غريبتين عن الأخرى، وكأنهم يقصدون إعادة برج بابل. إلا أن مساعي المترجم، رغم حسن النيات، قد لا تكون مطابقة لما أراد المؤلف بالضرورة. فالجاحظ مثلاً، رغم أنه تشدد في تطلب الملكة الفنية للمترجم قال: «لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في الترجمة نفسها، في وزن علمه في المعرفة نفسها، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليهما، حتى يكون فيهما سواء وغاية».

عاد فقرر: «إن الترجمان لا يؤدي أبداً ما قاله الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذهبه، ودقائق اختصاراته، وخفايا حدوده. ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل».

فالترجمة هي درس بيداغوجي فعلاً «البيداغوجيا هي علم أصول التدريس». فالمترجم يحاول: يفكر في الكلمات والجمل والمعاني، ويكتب، ويشطب، ويستبدل، ويسدد، ويقارب، ويستجمع جميع معارفه اللغوية والمنطقية، حتى يتمكن في النهاية من التقريب بين لغتين من خلال بذل قوة توحيدية هائلة لعلها تشبه –مجازاً– تلك التي يبذلها هرقل وهو يقرب بين ضفتي البحر.

ورغم ذلك فلا يأمن المترجم، لدى التعاطي مع اللغات المقارنة، الوقوع في «الفخاخ اللغوية»، التي عادة ما تشكل مصدراً خصباً للاضطراب اللغوي في عمله، فالقول الشهير يذهب إلى أن «الترجمة المبسطة هي وصفة للكارثة (simplistic translation is a recipe for disaster).

من أجل كل ذلك، كان لابد أن اختار أسلوب جورج شتاينر الذي يمثل مساهمته الأبرز في نظرية الترجمة، والذي يذهب إلى أن الترجمة تقع على أربع حركات، هي:

١– الثقة « trust: ثقة المترجم وقناعته أن في النص المختار ما يستحق التوصيل إلى جمهور جديد، يختلف عن الجمهور قارئ النص بلغته الأصلية.

٢– العدوان «aggression»: وفقاً لتشاينر، يتعلق الأمر بالعدوان على إقليم ثقافي آخر، لذا فإن المترجم «يغزو، ويستخلص، ويجلب للوطن».

٣– الدمج «incorporation» فعمل المترجم يقصد إلى استيعاب وتمثل النص المصدر في اللغة والثقافة الهدف ثم إدماجه في اللغة الهدف.

٤– التعويض «restitution» وهو الإخلاص في الترجمة إلى حد يجعل النص الهدف أقرب ما يكون إلى النص الأصل.

توفيق الحكيم

وحول الأعراض الجانبية للمترجمين تقول المترجمة ملك اليمامة القاري: «تعلمك الترجمة أن تتكلم مع نفسك كثيراً، أن ترفع صوتك بالقراءة حين تعجز عن الفهم في سرك، أن ترفع صوتك أثناء الكتابة لتتهجى صياغتك، تخضع يدك لاستساغة أذنيك فتمنحهما سلطة الموافقة أو الرفض، وتبقى يدك قفلاً مفتاحه سمعك.

تعلمك الترجمة أن تدمن المكافئات والمرادفات وتغدو مهووساً ببدائل المصطلحات. تعلمك أن المعنى في القلب دوماً، أن الحرف لا يغني من المعنى شيئاً، أن التأويل سيف مسلول على رقبة المضمون. تعلمك أن الأخبار المتناقلة كلها مترجمة، حتى وإن كانت بلغتك، فترى نشرة الأخبار ألد أعدائك، وتعتاد أن تصوغ الخبر على مزاجك؛ إذ قدرتك ليست بأقل من قدرة أولئك الذين صاغوه.

تحرمك الترجمة لذة لغتك الأم، تسرق بلاغة لغتك العربية إن كنت عربياً، فكل اللغات تصب في بحر العمل، ووحدها العربية تصب في بحور الشعر.

تعلمك الترجمة أن تمشي حسب التيار. أن تحني رأسك لتحميه. أن تكتب بأسلوب الكاتب الأصلي، تذكرك دوماً أن حدودك في كتاب غيرك هي حدود ضيف لا أكثر، وأن المعاني التي تختارها لشغفك بها –وإن حققت المعنى المراد ذاته– فهي معان غير مرغوب بها ما دامت لا تتماشى مع روح الكتاب، فإن تترجم كتاباً في التنمية البشرية مثلاً، ليس كترجمتك لرواية رومانسية، ولا كترجمة مقال عن الكتابة أو رسائل في السياسة. تعلمك الترجمة في هذا السياق أن تقتل حبيباتك من الكلمات وتستبدلها بما يليق بالسطر وحسب.

تسرق منك الترجمة متعة الاستسلام لمشاهدة الأفلام والبرامج المترجمة، حتى وإن كانت مترجمة عن لغة لا تعرفها، تجد نفسك مدققاً ومتصيداً لأخطاء المترجم الذي غفل عن وجود أمثالك من المشاهدين، تبدو لك تلك الثغرات على الشاشة وقحة وبليدة. تسرق منك الترجمة سكينة الأهل والمعارف، يدخل الجميع في سجال معاتبتك وانتقاد إهمالك لهم. تسرق منك سعادة المواعيد البسيطة المسروقة بسابق إصرار آملاً أن تمنح نفسك جَلَداً على مواصلة العمل. تنسيك الترجمة أن تنظر في المرآة لترى اتساع الهالات السوداء تحت عينيك، أو تكاثر التجاعيد حولهما، أو تزايد عدد الشعيرات البيضاء في منبتها. تنسيك الترجمة آدميتك، وتذكرك بآليتك. لكنك بعد أن تحبس أصابعك عن حاسوبك، مكتفياً بقراءة نصك المترجم، تشعر كأنك أعطيت ما لديك، وأنك كائن يستحق الحياة.

تعلمك الترجمة أن آخر كلمة تنهي ترجمتها، هي أنقى الأنفاس التي يمكن لك أن تستنشقها، بعد أن أنهيت تبنيك لحرف غيرك.

أن تكتب كتاباً، لا يشبه أن تترجم كتاباً أبداً؛ فالأول طفل يخرج من صلبك، والثاني طفل تتبناه».